الفصل الحادى عشر

الوجه الاجتماعى والشخصى

يرثى المستشرق الانجليزى الكبير سير ويليام جونز الحالة المتخلفة للدراسات العثمانية ، فى أوروبا قائلاً : « لقد حدث بصفة عامة ، أن الأشخاص الذين قد أقاموا بين الأتراك ، والذين بحكم مهارتهم فى اللهجات الشرقية هم أفضل المؤهلين لوصف هذه الدولة لنا بصورة دقيقة ، كانوا أحد صنفين : إما أنهم يعيشون فى مستوى منخفض من الحياة ، أو مشغولين بآراء ذات أهمية ، ومدمنين قليلا الخطابات المؤدبة والفلسفات ، وبينما هؤلاء كذلك كان الذين يتقلدون مراكز عالية ويتمتعون بذوق رفيع فى الأدب ، وعندهم الفرصة والميل إلى التغلغل داخل أسرار السياسة التركية كانوا يجهلون تماما اللغة التى تستخدم فى القسطنطينية ، ولذلك . . كان تنقصهم الوسيلة الوحيدة التى يستطيعون بها أن يعرفوا - بأى درجة من درجات التأكيد - عواطف وميول هذا الشعب الغريب . أما بالنسبة لجمهرة المترجمين . فنحن لانتوقع من رجال فى مركزهم أى عمق فى التقليل ودقة فى الملاحظة ، إذ كانت الكلمات هى كل مايتقنون مجرد كلمات هى بالتأكيد كل مايستطيعون أن يدعوا معرفتها »[1] .

لقد شرح سير ويليام الأساس الجيد لرداءة حالة الدراسات العثمانية فى أوروبا ، وهذا ينطبق بصورة أكبر على الحالة الأسوأ للدراسات الغربية فى تركيا ، إن المجموع الكلى للمسلمين الذين كانوا يزورون فى رحلاتهم أوروبا المسيحية - فى الفترة مابين ظهور الإسلام والثورة الفرنسية - كان صغيرا بدرجة كبيرة. وحتى من هؤلاء نجد القليل منهم ، بل أغلبهم ، ليست عندهم معرفة طفيفة باللغة الأوروبية وكانوا لايشعرون بأى رغبة أو أى حاجة إلى تعلمها . وكانت اتصالاتهم محدودة بأغراض سياسية أو تجارية ،

التى من أجلها كانوا يسافرون ، وكانت اتصالاتهم كلها تأتى عن طريق المترجمين والمفسرين . وكانت فرصهم ، لذلك ، فى الملاحظة والتعليق على المشهد الأوروبى مقيدة بكل شدة . وهذا القصور لم يسبب لهم مشاكل كثيرة . . لأنهم هم وقراءهم ، كانوا لايرون أى شىء يستحق الاهتمام ، أو له قيمة فى أراضى الكفرة خارج الحدود .

إذا كان الكتاب المسلمون لم يتأثروا بحب استطلاع دراسة الأجناس ، أو حب استطلاع تاريخى ، فهناك ، على أى حال ، دافع آخر كان يسبب أحيانا تعليقات شيقة ، واهتمام بالغريب والمدهش . إن الحضارة التى انتجت روائع مثل ألف ليلة وليلة ، كانت لديها شهوة كبيرة للعجائب والمعجزات ، وقد ظهرت مؤلفات غزيرة تشبعها .

لم تكن أوروبا تفتقر إلى المادة الخام المناسبة ، وقد وجد المسلمون الكثير الذى أدهشهم أنه غريب وغير عادى بأقل درجة . أحد أمثلة هذا هو عادة حلاقة الذقن الأوروبية بالنسبة للمسلمين ، كما هو الحال بالنسبة لكثير من الشعوب الأخرى ، فإن اللحية هى فخار وعظمة الرجولة ، وبعد فترة كانت الرمز الذى يدل على الحكمة والتجربة . وقد وجد هارون بن يحيى العربى الذى كان سجينا فى روما حوالى ٨٨٦ تفسيرا لهذه الممارسة العجيبة .

« سكان روما، الشباب والشيوخ يحلقون لحاهم كلية، لايتركون ولاشعرة واحدة . وقد سألتهم عن سبب حلق لحاهم ، وقلت لهم : « إن جمال الرجال يكمن فى لحاهم ، ما غرضكم من فعل هذا بأنفسكم ؟ » ، وقد أجابوا : « أى شخص لايحلق لحيته ليس مسيحيا حقيقيا ، لأنه عندما أتانا سيمون والأنبياء لم يكن لديهم لاصولجان ولامتاع (انظر ماتيو Matthew العاشر ١٠) ، ولكنهم كانوا فقراء وضعفاء ، بينما كنا نحن ملوكا نرتدى البروكار ونجلس على مقاعد من الذهب ، ولقد دعونا إلى الدين المسيحى ، لكننا لم نلب دعوتهم ، امسكناهم وعذبناهم وحلقنا رءوسهم ولحاهم . وعندما ظهرت حقيقة كلماتهم لنا ، بدأنا نحلق لحانا تكفيرا عن خطيئتنا فى حلاقة لحاهم »[٢].

ويعلق أيضًا كـاتب أحدث ، ربما يكون إبراهيم بـن يعقوب على الممارسـة الفرنجية لحلاقة الذقن ، بالإضافة إلى عادات أخرى قذرة .

« لن نرى أكثر قذارة منهم . إنهم شعب غادر ذو شخصية منحطة ، إنهم لاينظفون ولايستحمون أكثر من مرة أو مرتين فى العام ، وإذا فعلوا فبالماء البارد ، وهم لايغسلون ملابسهم ابتداء من الوقـت الذى يرتدونها فيه حتى تسقط أسمالاً بالـية . إنهم يحلقون لحاهم ويعد الحلاقة يـدعون شعيرات صغيرةمقززة تنمو . وقد سـئل أحدهم عن حلاقة اللحية فقال : « الشعر غير ضرورى . أنتم تزيلونه من الأماكن الخاصة لديكم ، فلماذا تتركونه على وجوهكم »[٣] .

وقد استمـرت العادات الغربيـة القذرة تثير اشمـئزاز المسلمين . وفـى وقت حديث حوالى نهاية القرن الثامن عشر ذكر زائر هندى مسلم ، هو أبو طالب خان ، أنه لايوجد فى دبلن سوى حمامين ، كـل منهم صغير وغير مجهز إلا بالقـليل . وبحكم الضرورة ذهب إلى أحدهـما ، ولكنه لم يـتمتع بالتجـربة . وقد لاحظ فى الصـيف ، أن سكان دبلن فى البحر وفى الـشتاء لايستحمون على الإطلاق . وقد بنى الحـمامان للمرضى ، ولم يكن يستـخدمها ، إلا الذين يشتد علـيهم المرض حقيقة . وعندمـا ذهب أبو طالب إلى الحمـــام لم يجـــد أى حجـام أو حلاق ، أو أى عامل من أى نـوع ، وبدلا من الملك قدمت لـه فرشاة من شعر الخيل ، من نفـس النوع المستخدم فى تنـظيف الأحذية والبيوت ، « كل شخص كان يزيل قذارته بيديه »[٤] .

وقد حظيت ملابـس الأوروبيين بتعليق من الزوار المسلـمين بين حين وآخر . وكان لدى بعضهم ما يقولونه عن السيدات والنساء الأخريات فى فيينا :

« مثل الرجـال ،و ترتدى النساء ملابـس خارجية ، وأردية دون أكمـام ومعاطف محشـوة مصنوعة من الـقماش الأسود مـن جـميع الأنوع . وتحت هذه المـلابس ، مع ذلك ، فإنهن يرتدين ثيابا مطرزة من الحـرير وأقمشة من الذهب ، وغيرها من الخامات الذهبيـة والثمينة المـتنوعة ، وهى ليـست قصيرة أو صغـيرة كملابس النـساء فى أراضى الكفار ، لـكنها غنيـة ووفيرة ، لدرجة أنهن يـجرون وراءهن ياردات من القـماش على

الأرض مثل الجونلات المجرجرة للدراويش ، الذين يدورون . إنهن لايرتدين إطلاقًا سراويل داخلية ، إنهن يرتدين أحذية من كل الألوان ، وأحزمتهن عادة مرصعة بالأحجار الكريمة ، وبخلاف الأنسات الصغيرات فإن السيدات المتزوجات هناك يتجولن هنا وهناك وصدورهن عارية ، تبرق بيضاء مثل الجليد . إنهن لايحزمن أرديتهن حول الوسط بأحزمة ، مثل نساء هنغازيا وولاتشيا ومولدافيا ، ولكنهن يضعن غلالات رقيقة حول أسفل جذوعهن عريضة كطرف المنخل ، هذا رداء قبيح ، يجعلهن يبدون كحدباوات . وعلى رؤوسهن يرتدين قبعات من الموسلين الأبيض مزينة بالاشرطة الرقيقةوالتطريز ، وفوقها أغطية للرأس بالمجوهرات واللآلئ . وبعناية الإلة فإن نهود هذه النساء ليست مثل تلك الخاصة بنساء تركيا ، كبيرة كقراب الماء ؛ ولكنها صغيرة كحبات البرتقال . . ومع ذلك فإن معظمهن يرضعن أطفالهن بلبنهن أنفسهن [٥] .

وقد ذكر الشيخ رفاعة أحد الملامح المثيرة للدهشة من الملابس الأوروبية الجميلة العجيبة بتغيير طرازها من وقت لآخر .

« ومن طباع الفرنساوية التطلع والتولع بسائر الأشياء الجديدة ، وحب التغيير والتبديل فى سائر الأمور خصوصا فى الملبس ، فإنه لاقرار له أبدا عندهم ، ولم تقف لهم إلى عادة فى التزيى ، وليس معنى هذا أنهم يغيرون ملبسهم بالكلية ، بل معناه أنهم يتنوعون فيه ، فهم مثلا لايغيرون لبس البرنيطة ولاينتقلون منها إلى العمامة ، وإنما هم تارة يلبسون البرنيطة ، ثم بعد زمن ينتقلون منه إلى شكل آخر سواء فى صورتها أو لونها ، وهكذا [٦] .

ويعتبر أبو طالب الملابس الأوروبية المعقدة إضاعة للوقت تثير السخرية ، وفى مناقشة طويلة لنقاط الضعف وعيوب الإنجليز ، فإنه يضع فى المكان السادس من القوائم « إضاعتهم لوقت كثير فى النوم وارتداء الملابس وتصفيف شعورهم وحلق لحاهم وما شابه ذلك . . . » [٧] ولكى يتمشون مع الطراز الحديث . . فإنهم يرتدون من القبعة حتى الحذاء ، وليس أقل من خمس وعشرين قطعة من الملابس ولديهم مع ذلك ملابس

مختلفة للصباح وللمساء لدرجة أن عملية ارتداء الملابس بأكملها ، وعملية خلع الملابس تحدث مرتين فى اليوم إنهم يقضون ساعتين فى ارتداء الملابس بأكملها ، وتصفيف الشعر وحلاقة الذهن ، وعلى الأقل ساعة على الافطار ، وثلاث ساعات على العشاء ، وثلاث ساعات فى صحبة النساء أو استماع الموسيقى أو المقامرة ، وتسع ساعات فى النوم ، لدرجة أنه لايتبقى أكثر من ست ساعات لتأدية العمل ، وبين العظماء ليس أكثر من أربعة . ويقول أبو طالب إن الطقس البارد ليس عذرا لمثل هذا العدد الكبير من الملابس ، إنهم كانوا يستطيعون بالاكتفاء بنصف عدد الملابس ويظلون يحافظون على التدفئة ، وكانوا يستطيعون توفير وقت كثير بالاقلال من حلاقة الذقن ، وتصفيف الشعر وما شابه ذلك .

بعض هؤلاء الزوار المسلمين كان عندهم من الخيال ، مايكفى أن يدركوا أنهم يعطون صورة شاذة للغرب ، كما يفعل الغرب بالنسبة إليهم .

ومثل الزائرين العثمانيين الآخرين إلى أوروبا يعلق واصف عن رضى واقتناع ، على الانطباع الذى سببه ، وأن جمهرة من الناس أتوا يحملقون فيه . لقد بدأ ذلك حتى فى الحجر الصحى ، عندما أتى الناس من الأماكن القريبة يحدقون فيه من الجانب الآخر من السور .

بعد ذلك عندما قام بدخول مدريد فى موكب يشبه الاحتفال ، « كان عدد النظارة فوق الوصف . كان المتفرجون يزحمون الشرفات أعلى المنازل المطلة على الشارع بصفوف متراصة تصل إلى خمسة أو ستة ، على الرغم من أن الشارع كان متسعًا لدرجة أنه يأخذ خمس عربات على صف واحد ، لقد كان مزدحما لدرجة أنه حتى من كان يمتطى جوادًا ، لم يكن يستطع أن يمر إلا بصعوبة . وقد قيل لنا إن النوافذ كانت تؤجر بمائة قرش كل واحدة »[٨] .

ويعلق أحد الإيرانيين ذوى المقام الرفيع ، والذى حضر افتتاح الخط الحديدي بين

لندن وكرويدون عام ١٨٣٩ على جمهور ، يبلغ ثلاثين أو أربعين ألفا من الناس الذين تجمعوا هناك .

« بمجرد أن شاهدونا بدأوا يصيحون ويهتفون فى دهشة وسخرية ، لكن قام عجودان باشا بقيادتنا فى تحيتهم بأدب ، وردوا هم على التحية برفع قبعاتهم ، لذلك سار الحال على مايرام ، لكن حتى ولو كان هناك جزء قليل من الاستهتار لساء الحال . وفى الحقيقة . . كان عندهم بعض الحق ، لأن مظهرنا الخارجى ، فى الملبس وغيره ، كان من المؤكد غريبا على أعينهم - خاصة لحيتى ، التى نادراً ما ترى شبيهتها فى كل بلاد الافرنج »[٩] .

نستطيع أن نرى بدرجة وضوح كبيرة التغير الذى لحق بالفكرة عن طريق الحكام المسلمين بالنسبة لظروف العالم الإسلامى ، وعلاقاته بالعالم الخارجى لأوروبا المسيحية عن طريق التغير الكبير فى الملابس والأردية الذى بدأ فى أوائل القرن التاسع عشر . وقد بدأ التغيير باستخدام أردية أوروبية معينة عن طريق الحاكم وعلية رجال الجيش . وبعد ذلك . . قسم كبير من الموظفين المكتبيين ، وأخيرا جمهرة الشعب .

لقد حدث ذلك مرة فى السابق ، ففى القرن الثالث عشر خلع الخليفة الإسلامى ، وخضع جزء كبير من العالم الإسلامى للمغول الوثنيين الذين أتوا من الشرق الأقصى . وبسبب الهزيمة والحيرة ترك المسلمون ، على الأقل فى أوساط علية القوات العسكرية ، الطراز التقليدى فى الملابس واستخدموا الطراز الخاص بأسياد العالم . حتى فى مصر ، التى لم يهزمها المغول إطلاقا ، أدخل السلطان المملوكى قلاوون نظاما جديدا فى التعليمات الخاصة بالملابس التى يرتديها الأمراء فى حاشيته الخاصة فى نهاية القرن ، وكان عليهم أن يرتدوا الطراز المغوى فى العتاد ، وبدلا من قص شعورهم على الطراز الإسلامى ، كان عليهم أن يتركوا خصلات شعرهم تنمو ، وتتموج بحرية ، وبالروح نفسها . . ظهر السلطان العثمانى المصلح محمود الثانى أمام شعبه فى ١٨٢٦ مرتديا بنطلونا وسترة طويلة ، واهتم بأن ترتدى أعداد كبيرة من جيشه الملابس نفسها . وقد أعطيت الأوامر بارتداء السترات فى الجيش ، والعباءات فى

المكاتب والسراويل فى كليهما ومن هؤلاء انتشرت عامة بين الحضر والطبقات المثقفة . أولا فى تركيا وبعد ذلك فى بعض الدول العربية ، وأخيرًا فى إيران أصبحت الملابس الأوروبية عامة ، ولفترة طويلة كان التغيير الغربى فى الملابس محصورا فى الرجال ، وحتى بين هؤلاء كان فقط من الرقبة إلى أسفل . أما غطاء الرأس ، الذى دائما له أهميته الرمزية فى العالم الإسلامى ، والذى كان فوق ذلك مرتبطا مباشرة بأداء الصلوات الإسلامية ، فإنه قد ظل واضحا . فى القرن العشرين . . حتى هذه النقطة تركها العسكريون ، على الأقل ، ولبسوا الخوذات المحددة ذات الحواف والقبعة العسكرية الأوروبية ، التى استخدمها الضباط على نطاق معظم الدول الإسلامية العسكرية .

وفى بداية القرن الرابع عشر . . عندما أصبح المغول أنفسهم مسلمين ، واندمجوا فى مجتمعات الشرق الأوسط . . ترك الطراز المغولى رسميا ، وقرر سلطان مملوكى آخر عدم ضمه إلى الزى الإسلامى . وقام هو وكل أمرائه الماليك بالتخلى عن المعاطف المغولية وقصروا خصلات شعرهم المتموجة ، ظلت القبعات والمعاطف والسراويل الأوروبية ، ولكنها كانت موضع تحدي بدرجة متزايدة لأسباب اجتماعية ودينية على النطاقين الارستقراطى والشعبى .

وحدث التغيير الغربى فى ملابس النساء فى مرحلة متأخرة كثيرًا ، ولم تذهب هكذا بعيدا ، والتناقض هنا يمكن إرجاعه إلى اختلافات ثقافية أساسية معينة .

كان الزائرون المسلمون الذين تركوا تسجيلات عن رحلاتهم إلى أوروبا حتى القرن التاسع عشر - دون استثناء - من الرجال . وكان لمعظمهم - على أى حال - مايقولونه فى موضوع النساء ومكانتهن فى المجتمع بالنسبة لمن كانوا يبحثون عن الغريب والقصص الرائعة ، كانت هناك موضوعات قليلة مثمرة كثيرًا ، فالنظام المسيحى فى الزواج من امرأة واحدة ، والحرية بالنسبة للنساء من القيادة الاجتماعية ، والاحترام الذى يعطي لهن حتى من الشخصيات الكبيرة ، كانت أمورًا تدهش الزائرين من الأراضى الإسلامية ، مع القليل جدًا من الإعجاب .

أحد الانطباعات الأولى للناحية الجنسية الأوروبية قد قدمه السفير العربى الغزال ، الذى زار بلاط الفايكنج فى حوالى ٨٤٥ بعد الميلاد ، وطبقا لشهادته هو . . أثناء اقامته بين الفيكنج تمتع ببعض العبث الخفيف مع ملكة الفايكنج .

« ولما سمعت امرأة ملك المجوس بذكر الغزال وجهت فيه لتراه فلما دخل عليها سلم ، ثم شخص فيها طويلا ينظرها نظر المتعجب ، فقالت لترجمانها : سله عن إدامة نظره لماذا هو ؟ ألفرط استحسان أم لضد ذلك ؟

فقال : ما هو إلا أنى لم أتوهم أن فى العالم منظرًا مثل هذا ، وقد رأيت عند النساء ما انتخبن له من جميع الأمم ، فلم أر فيهن حسنا يشبه هذا . فقالت لترجمانها : سله أجدٌ هو أم هازل ؟ فقال : لا ، بل مجد . فقال له : فليس فى بلدهم جمال ، فقال الغزال : فاعرضوا على من نسائكم حتى أقيسها بها . فوجهت الملكة فى نساء معلومات بالجمال فحضرن ، فصعد فيهن وصوب ثم قال : فيهن جمال وليس كجمال الملكة ، لأن الحسن الذى لها ، والصفات المناسبة ليس يميزه كل أحد ، وإنما يعنى به بالشعراء ، وأن أحبت الملكة أن أصف حسنها ، وحبسها وعقلها في شعر يروى فى جميع بلادنا ، فعلت ذلك فسرت سرورا عظيما ، وذهبت ، وأمرت له بصلة ، فامتنع من أخذها الغزال ، وقال لا أفعل . فقالت للترجمان : سلة لم لايقبل صلتى ؟ أ لأنه حقرها أم حقرنى ؟ فسأله ، فقال الغزال إن صلتها لجزيلة ، وإن الأخذ منها لشرف ؛ لأنها ملكة بنت ملك ، ولكن كفانى من الصلة نظرى إليها وإقبالها على ، فحسبى بذلك صلة ، وإنما أريد أن تصلنى بالوصول إليها أبدا ، فلما فسر لها الترجمان كلامه زادت منه سرورا وعجبا ، قال : تحمل صلته إليه ، ومتى أحب أن يأتينى زائرا فلا يحجب ، وله عندى من الكرامة والرحب والسعة . فشكرها الغزال ، دعا لها وانصرف .

عند تلك النقطة . . قطع للراوى تمام بن علقمة قصته بتعليق :

« سمعت الغزال يحدث بهذا الحديث ، فقلت لها من الجمال فى نفسها بعض هذه المنزلة ، التى صورت ؟ فقال : وأبيك لقد كانت حلاوة ، ولكنى اجتلبت بهذا القول محبتها ، ونلت منها فوق ما أرد » .

قد قال تمام بن علقمة أيضا :

« أخبرنى أحد أصحابه ، قال : أولعت زوجة الملك المجوس بالغزال فكانت لاتصبر عنه يوما حتى توجه بها ، يقيم عندها يحدثها عن سير المسلمين وأخبارهم وبلادهم ، وبمن يجاورهم من الأمم . فقلما انصرفا يومًا قط من عندها إلا اتبعته هدية ، تلطفه بها من ثياب وطعام أو طيب ، حتى شاع خبرها معه ، وأنكر أصحابه ، وحذر منه الغزال فحذر وأغب زيارتها . فباحثته عن ذلك ، فقال لا ما حذر منه . فضحكت ،وقالت : ليس فى ديننا نحن هذا ولاعندنا غيره ، ولانساؤنا مع رجالنا إلا باختيارهن ، تقيم المرأة معه ما أحبت ، وتفارقه إذا كرهت . وأما عادة المجوس قبل أن يصل إليهم دين رومة . فألا يمتنع أحد من الرجال ، إلا أن يصحب الشريفة الوضيع ، فتغير بذلك ، ويحجره عليها أهلها . فلما سمع ذلك الغزل من قولها أنس إليه وعاد إلي استرساله »[١٠] .

وقد استمر الراوى يصف معاملات الغزال مع ملكة الفايكنج التى كان يرتجل لها الشعر العربى الذى كان يترجم لها بطريقة مناسبة بواسطة المترجم . وقد أضاف هذا الجزء لمسة من عدم الاحتمال للقصة كلها .

وقد أسار استقلال النساء الغربيات تعليقات كثيرة ، وعلى سبيل المثال كان إبراهيم بن يعقوب يتكلم عن شعب شليسويج فيقول إن :

« النساء بينهم تملكن حق التطليق . المرأة تستطيع بنفسها أن تتقدم بطلب الطلاق كلما راقها ذلك » .

ويذكر المؤلف نفسه قصة أكثر غرابة من ذلك عن جزيرة فى البحر الغربى تعرف بـ « مدينة النساء » .

« سكانها من النساء ، ليس للرجال عليهن سلطان . يركبن الخيل ، ويقمن بشن الحرب ولهن شجاعة كبيرة فى القتال . عندهن عبيد من الرجال ، وكل عبد يذهب إلى سيدته بالدور كل ليلة ، ويمكث معها طوال الليل ، ويستيقظ عند الفجر ، ويخرج

سرا عند بدء النهار . فإذا حملت إحداهن طفلا ذكرا تقتله فى الحال ، لكن إذا حملت طفلة انثى تجعلها تعيش » .

وعندما أدرك إبراهيم بن يعقوب أن ذلك النص من القصة القديمة لسكان الأمازون يمكن ألا تقنع قارئه ، أضاف : « إن مدينة النساء حقيقة مؤكدة لايشوبها أدنى شك . . لقد ذكر لى أوتو ملك الرومان عنها » .

وهذه نقطة . . لم يكن المستحيل أن تدهش المراقب المسلم فى العصور الوسطى أكثر من العصور الحديثة ، لما يبدو له الآن من حرية رسمية للنساء ، والنقطة الغريبة لغيرة الرجال . وعند أسامة السورى ، أحد جيران الصليبيين ، قصص تصور هذه النقطة :

« وليس عندهم (أى الفرنجة) شىء من النخوة والغيرة .

يكون الرجل منهم يمشى هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها ، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث . فإذا طولت عليه خلالها مع المتحدث مضى .

ومما شاهدت من ذلك أنى كنت إذا جئت إلى نابلس . . أنزل فى دار رجل ، يقال له معز داره عمارة المسلمين ، لها طاقات تفتح إلى الطريق . ويقابلها من جانب الطريق الآخر دار لرجل أفرنجى يبيع الخمر للتجار يأخذ فى قنينة من النبيذ وينادى عليه ويقول « فلان التاجر قد فتح بيته من هذا الخمر . ومن أراد منها شيئا فهو فى موضع كذا وكذا . وأجبرته عن ندائه النبيذ الذى فى تلك القنينة . فجاء يوما ، ووجد رجلا مع امرأته فى الفراش فقال له « أى شىء أدخلك إلى عند امرأتى ؟ »

قال : « كنت تعبان كذا دخلت استريح » قال : « فكيف دخلت إلى فراشى ؟ » قال : « وجدت فراشا مفروشا نمت فيه » .

قال : « والمرأة نائمة معك ؟ » قال : « الفراش لها . ما كنت أقدر أمنعها من

فراشها ؟ » « قال : وحق دينى ، إن عدت فعلت كذا تخاصمت أنا وأنت ، فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته .

وقصة أسامة لها كل خصائص الحكاية الوثنية ، ومع ذلك فهى تصور بوضوح كيف كانت عادات الزواج المسيحى تبدو للمراقبين المسلمين المعاصرين .

ولم يكن ظهور هذه السيدات المسيحيات ، وعلى أى حال ، غير مقبول . وكان من حسن حظ ابن جبير المسلم الإسبانى ، الذى زار سوريا وفلسطين تحت حكم الصليبيين أن يحضر زواج مسيحى ، « ومن مشاهد زخارف الدنيا المحدث بها : زفاف عروس شاهدناه بصور فى أحد الأيام عند مينائها . وقد احتفل لذلك جميع النصارى رجالا ونساء ، واصطفوا سماطين عند باب العروس المهداة ، والبوقيات تضرب والمزامير وجميع الآلات اللهوية ، حتى خرجت تتهادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال ، كأنهما من ذوى أرحامها ، وهى فى أبهى زى وأفخر لباس ، تسحب أذيال الحرير المذهب سحبا على الهيئة المعهودة من لباسهم ، وعلى رأسها عصابة ذهب قد حفت بشبكة ذهب منسوجة ، وعلى لبتها مثل منتظم . . وأمامها جلة رجالها من النصارى فى أفخر ملابسهم البهية ، أذيالها خلفهم ، ووراثها أكفاؤها ونظراؤها من النصرانيات : يتهادين فى أنفس الملابس ، ويرفلن فى أرفل الحلى ، والآلات اللهوية قد تقدمتهم [١٣] .

بعد ذلك . . بقرون كان إيليا سيليبرى مسرورا بمناظرسيدات فيينا .

« لأن الماء والهواء فى تلك الدولة كانا جيدين فكل النساء فيها جميلات ، لهن طول جيد وجسم جيد ، وملامح تشبه ملامح أبطال القصص الخرافية . ويوجد فتيات فى كل مكان بعدد لايحصى جميلات ورشيقات وحسناوات كالشمس الذهبية المشرقة اللائى كن يسحرن الرجل بكل حركة وكل إشارة ، وكل كلمة وكل فعل . . . » .

ولم تفشل أى من ملامح المجتمع المسيحى فى إدهاش الزائرين المسلمين ، كالاحترام الشعبى الذى يظهر تجاه النساء وإيليا يعلق فيقول :

« لقد رأيت أكثر الأشياء غرابة فى هذه الدولة . إذا قابل الإمبراطور امرأة فى الشارع وهو يتطى صهوة جواده فإنه يتوقف ويدع المرأة تمر . وإذا كان الإمبراطور يسير على قدميه ، ويقابل امرأة فإنه يظل واقفا ، فى موقف مؤدب . وعندئذ تحييه المرأة ، ويرفع هو قبعته لها ويظهر احتراما لها ، ولايستمر فى سيره إلا إذا مرت . هذا مشهد فى غاية الغرابة ، وفى أى مكان آخر من أراضى الكفرة ، للنساء الكلمة العليا ، وهن يكرمن ويحترمن تكريما للأم مارى »[١٤] .

ليس من العجيب أن يعتبر أيليا كاذبا فى تركيا ، عندما قص مثل هذه القصص غير العادية . حتى فى إسبانيا . . فإن الغزال ، السفير المراكشى كان مسافرا فى ١٧٦٦ ، صعق بحرية النساء ، ومثل كل الزائرين المسلمين دهش مما صدمه كحرية جنسية للنساء الأوروبيات - وحتى الإسبانيات - وقد بدأت دهشته عندما عبر حدود سيته ، وهو ميناء يحتله الاسبان على الساحل الشمالى لمراكش .

« لأماكن اقامتهم نوافذ تطل على الشارع ، حيث تجلس النساء طوال الوقت ، يحيين المارة . أزواجهن يعاملونهن بأدب كبير . والنساء يدمن كثيرا المحادثة وتجاذب التحيات مع الرجال غير أزواجهن ، سواء فى صحبة أو بعيدًا عن الأنظار ، لايمنعن من الذهاب إلى أى مكان يعتقدن أنه مناسب . ويحدث غالبا أن يعود المسيحى على منزله ويجد زوجته أو ابنته أو اخته فى صحبة رجل مسيحى غريب ، يشربان معا ويميلان على بعضهما . إنه يكون مسرورا بهذا ، وطبقا لما يقال لى . . فإنه يعد هذا إيثارا منه للمسيحى الموجود فى صحبة زوجته أو أى امرأة أخرى من نساء منزله » .

ويبدو أن اخبار الغزال عما شاهده فى سيته وتفسيره لها مبالغ فيها . وليس من المدهش إطلاقا أنه قد صعق بشدة - مثل الزائرين المسلمين الآخرين قبله - من الراقصين فى حفلات الرقص والاستقبال ، التى أقيمت تكريما له ، وأنه كان يدهش بدرجة من رداء فتيات الأسر الكريمة المخجل ، وإظهارهن أجسادهن ، وإذعان أو حتى موافقة الرجال الذين كان يجب أن يكونوا حراسا على شرفهم بعد عودته من إحدى حفلات الاستقبال هذه يعلق الغزال بقوله :

« عندما انتهى الحفل عدنا إلى مساكننا وصلينا لله أن ينقذنا من الحالة البائسة لهؤلاء الكفرة الذين تنقصهم غيرة الرجولة وينغمسون فى عدم الإيام ، ودعونا القوى ألا يعتبرنا مسئولين عن ذنوبنا بالتحدث معهن عندما تتطلب الظروف ذلك . . »[١٥] .

وقد دهش محمد سعيد أفندى أيضا من استقلال وقوة النساء فى فرنسا :

« النساء فى فرنسا مركزهن أعلى من الرجال ، لدرجة أنهُن يفعلن مايحلو لهن ويذهبن حيث يردن ، وأعظم اللوردات يظهر احتراما وأدبا يفوق كل الحدود لأقل النساء شأنا . فى تلك الدولة أوامرهن سائدة ، يقال إن فرنسا هى جنة النساء حيث لايحملن أى هموم أو متاعب ؛ حيث يحصلن على أى شىء يرغبن فيه ، دون أى مجهود »[١٦] .

وقد لاحظ أبو طاب خان ، مع ذلك ، الذى كان يزور انجلترا فى نهاية القرن الثامن عشر ، جانبا من القصة ، الذى غاب عن أنظار الزائرين الآخرين . وعلى العموم . . فإنه يجد أن النساء الانجليز أسوأ حالاً من اخواتهن المسلمات ؛ فإنهن يمكثن مشغولات بمختلف الأعمال فى المتاجر ، وفى أماكن أخرى - وهو موقف يرجعه أبو طالب إلى حكمة المشرعين الإنجليز وفلاسفتهم فى العثور على طريقة تنقذ نساءهم من الرذيلة - هن عرضة أكثر لعدد من القيود ، على سبيل المثال . . فإنهن لايخرجن بعد حلول الظلام ، ولايقضين الليل فى أي منزل غير منزلهن ، مالم يكن مصحوبات بأزواجهن . وبمجرد أن يتزوجن . . فإنهن لايمتلكن أى ممتلكات أو حقوق ويكن تماما تحت رحمة أزواجهن ، الذين قد ينهبون بارادتهن . وعلى العكس من ذلك . . فإن النساء المسلمات أفضل بكثير ، فإن موقفهن القانونى وحقوق ملكيتهم ثابتة ، ويحميها القانون ، حتى ضد أزواجهن ، ولهن مميزات أخرى أيضًا ، بسبب اختفائهن خلف الحجاب ، يلاحظ ببعض الأسى ، إنهن يستطعن الانغماس فى كل أنواع الشرور والرذيلة ، التى مجالها كبير جداً إنهن يستطعن الخروج من المنزل ، حسب اختيارهن ، ويذهبن ليزرن آباءهن واقاربهن أو حتى صديقاتهن النساء ، ويمكثن بعيداً عن المنازل لعدة

أيام وليالى فى المرة الواحدة ، ولدى أبى طالب هواجس عن الفرص ، التى تتيحها مثل هذه الحريات [١٧] .

وقد توجه أبو طالب من انجلترا إلى فرنسا ، ووجد نفسه فى تناقض عجيب بالنسبة للأفكار السائدة المقبلة ، فلم تقبل نفسه طهوًا فيها ولانساء ، مثلما كان فى انجلترا . كان أبو طالب يفضل الأطباق الانجليزية البسيطة عن الاطباق الفرنسية المزينة ، ولديه الآراء نفسها بالنسبة للسيدات فى كل من الدولتين ؛ فهو يقول : « النساء الفرنسيات أطول واكثر امتلاء وملفوفات أكثر من الانجليزيات ، لكنهم أقل جمالا ، ربما لأنه ينقصهن بساطة الفتيات وحياؤهن ، والتصرف الرشيق للفتيات الإنجليزيات » وقد دهش أبو طالب كثيرا من الطريقة الفرنسية فى تصفيف الشعر ، التى وجدها تذكره بطريقة قبيحة بظهور العاهرات الشعبيات فى الهند . لقد وجد النساء الفرنسيات بمساحيقهن ومجوهراتهن وصدورهن شبه العارية ، لعوبات فى مظهرهن .

ومما جعل الأمر أكثر سوءًا أنهن جريئات كثيرات الكلام ، عاليات الصوت ، سريعات الرد كانت أرديتهن المرتفعة عند الخصر مضحكة أكثر منها جذابة . وفى النهاية . . يلاحظ أبو طالب أنه على الرغم من أنه سريع التأثر برؤية الجمال كما كان يلاحظ أثناء زيارته لمناظر مختلفة فى لندن ، لما يحدث له أى نوع من هذا التأثير فى باريس . ففى القصر الملكى ، سواء بالليل أو النهار . . كان يجد نفسه وجها لوجه مع آلاف ، ولكنه لم يتأثر بأقل درجة بأى واحدة منهن [١٨] .

والنساء الفلاحات الفرنسيات ، وفى الحقيقة كل ما فى القرية ، كان أسوأ من ذلك ؛ فالقرى لم تكن تجلب السرور ، وتختلف تماما عن المدن ؛ وكانت النساء خشنات جدًا لدرجة أن رؤيتهن فقط كانت تثير الاشمئزاز ، وكانت ملابسهن من نوع لدرجة أن فتيات القرى فى الهند كأنهن ساكنات للجنة بالمقارنة بهن [١٩] .

وأما فاضل بيه ، وهو شاعر تركى فى هذا الوقت ، جنسى كثير الصراحة ، وكان يعرف أيضًا باسم فاضل الانديرونى (١٧٥٧ - ١٨١٠) ، وهو حفيد أحد قادة الفلسطينيين العرب المشهورين ، الذى ثار ضد العثمانيين فى السبعينات من القرن الثامن

عشر ، وقد نشأ فى استامبول ، وأصبح مشهوراً بقصائده الاباحية وخاصة قصيدتين طويلتين ، إحداهما عن الفتيات والأخرى عن الفتيان ، يصفهم بجنسياتهم مع تعديد صفاتهم الحسنة القبيحة ، لأغراض فى نفس فاضل بيه ، من أجل مجموعات الجنسيات المختلفة . وهى تشمل ، بالإضافة إلى المجموعات المختلفة المجاورة بالقرب من الإمبراطورية العثمانية ، الفرنجة فى استامبول ، وسكان الدانوب والفرنسيين والبولنديين والألمان والإسبان والانجليز والروس والهولنديين ، وحتى الأمريكان الذين كان فاضل بيه يقصد بهم - بكل وضوح - الهنود الحمر . ولايوجد أي دليل على أن فاضل بيه قد سافر إلى الخارج ، لكن لأنه نشأ وعاش فى القصر الإمبراطورى فى استامبول . . كان يمكن أن تكون لديه الفرصة فى مقابلة نساء صغيرات ، وفتيان من جنسيات متعددة ، تميل أوصافه للفتية . . إلى عدم الوضوح نوعا ما وقلة الكلام . أما معالجته للفتيات . . فكانت أكثر صراحة ، مليئة بمجموعات من التفاصيل التحليلية فى بعض الأحيان ، وكان فى بعض الأحيان يعطى أهمية للنص الثقافى من حين لآخر ، يلون النساء الفرنسيات لاتباعهن العادة المقززة ، بالنسبة لفاضل بيه ، فهو غرامهن بالكلاب الصغيرة ووضعها فى احضانهن على صدورهن ، وهو أيضًا مدرك أن السيدات الإسبانيات يغنين ويعزفن على الجيتار ، ويلاحظ أنهن يصلن عن طريق مراكش . النساء الانجليزيات عفيفات خدودهن وردية وشريكات فى امتلاك الهند . والنساء الهولنديات يتكلمن لغة صعبة ويمكن للفرد أن يندهش كيف استطاع فاضل بيه أن يتوصل إلى هذا الحكم ، ولكنهن فاشلات فى إثارة الرغبة الجنسية [٢٠] .

خالد أفندى الذى مكث فى باريس منذ ١٨٠٣ إلى ١٨٠٦ ، وهو يهتم بصفة عامة برسم الصور السالبة على قدر ما يستطيع . . فإنه يصف وجها آخر من الحياة الجنسية الأوروبية ، ويبدأ غاضبا بذكر اتهام وجه للمسلمين من الذين قاموا بسلبهم :

« إنهم يقولون : لتعرف كقاعدة عامة ، أنه مهما كان عدد الأرمن واليونانيين كثيرا فى العالم . . فإن المسلمين عندهم شذوذ جنسى ، وهذا شيء مشين . فى بلاد الفرنجة ، اللهم احفظنا لايمكن أن يحدث مثل هذا الشيء ، وإذا حدث فإن هذا الفعل

يقابل بعقوبة صارمة ويثير فضيحة كبيرة وهكذا - لدرجة أننا لو استمعنا ، يمكن أن نعتقد أننا كلنا نمارس هذا الفعل ، كما كان لايشغلنا أى اهتمام آخر .

فى باريس . . يوجد نوع من الاسواق يسمى القصر الملكى ، حيث توجد متاجر لأنواع متعددة من السلع على جميع الجوانب الأربعة ، وفوقها توجد غرف تحتوى على ١٥٠٠ امرأة و ١٥٠٠ صبى لايفعلون شيء سوى ممارسة اللواط . فالذهاب إلى هذا المكان بالليل يثير الخجل (انظر ص ٣١٩) فقد ذهبت لأشاهد هذا المنظر الخاص . وبمجرد أن يدخل الفرد ، يسلمه من كل جانب من الجوانب الأربعة فتية وفتيات بطاقات مطبوعة عليها : « عند كثير من النساوة ، حجرتى فى مكان كذا كذا ، والسعر كذا » أو « عندى كثير من الصبية ، أعمارهم كذا وكذا والسعر الرسمى كذا » كل ذلك على بطاقات مطبوعة خصيصا . وإذا أصيب أى صبى أو امرأة بينهم بمرض الزهرى . . فهناك أطباء معينون من قبل الحكومة لرعايتهم . ويحيط النساء والفتيان الرجل من كل جانب ، يستعرضون ويسألون « أينا تحب ؟ والأكثر من ذلك . . فإن كبار الناس يسألون بفخار : « هل زرت قصرنا الملكى ؟ وهل أحببت النساء والصبيان ؟ » .

الحمد لله . . ليس فى أراضى الإسلام هذا العدد من الصبية والشواذ [٢١] .

وهناك زائر بعد ذلك لباريس ، الشيخ رفاعة المصرى يقدم نظرة مختلفة نوعا ما عن قضية الشذوذ الجنيسى ، وهو يلاحظ باهتمام وموافقة ، أنه فى فرنسا يعتبر الشذوذ الجنسى شيئا مثيرا للفزع والتقزز ، إلى درجة إن الدارسين الفرنسيين الذين يترجمون قصائد الحب الجنسى الشاذ من اللغة العربية ، يبدلون الشكل المذكر بالمؤنث .

لم يكن للسيدات تأثير حسنٌ عليه فى فرنسا ؛ فقد وجد أن الباريسيات ينقصهن الخجل والرجال يفتقدون الرجولة :

« إن الرجال عندهم عبيد النساء ، وتحت أمرهم سواء كن جميلات أم لا ، قال بعضهم : إن النساء . . عند بلاد المشرق كأمتعة البيوت وعند الإفرنج كالصغار المدلعين . ولايظن الإفرنج بنسائهم ظنا سيئا أصلا مع أن هفواتهن كثيرة معهن » .

ويواصل رفاعة الشرح بإنه حتى إذا ظهر سوء السلوك بالنسبة للزوجة واضحًا للرجل ، ثابتًا ومبرهنًا عليه بواسطة شهود ، وطردها من منزلة ، وانفصلا لفترة من الضرورى مع ذلك بالنسبة له أن يقدم أدلة مقنعة على سوء سلوكها ، حتى يمكنه أن يحصل على الطلاق .

« ومن خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسائهم كما تقدم ، وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الإسلام من الغيرة ، والزنا عندهم من العيوب والرذائل ، خصوصا فى حق غير المتزوج » .

وعلى أى حال . . فإن الشيخ يعترف بأنه تأثر بمظهر وأسلوب وحتى أحاديث النساء الفرنسيات :

« ونساء الفرنساوية بارعات الجمال واللطافة ، حسان المسايرة والملاطفة . يتبرجن دائما بالزينة ويختلطن مع الرجال فى المتنزهات » .

وقد حضر الشيخ ، مثل الزائرين المسلمين الآخرين ، حفلة راقصة ، ودهش طبيعيا بسبب الطرق الشاذة فى حياة العالم الغربى . ومثل سابقيه . . وجد الكثير غريبا وعجيبا ، ولكنه صدم أقل منهم : وهو يشرح بقوله : « والبال - يقصد البار - دائما مشتمل على الرجال والنساء وفيه واقدات - أى أضواء عظيمة ، وكراس للجلوس ، والغالب أن الجلوس للنساء ، ولايجلس أحد من الرجال إلا إذا دخلت امرأة على أهل المجلس ، وإذا لم يكن كرسي خاليا ، قام لها رجل وأجلسها ، ولاتقوم لها امرأة لتجلسها » .

وقد كتب ملاحظة بكل دهشة يقول :

« فالأنثى دائما فى المجالس معظمة أكثر من الرجال » .

وهناك صفة خاصة أخرى لهذه الحفلات الراقصة الغربية ، « ويتعلق بالرقص فى فرنسا كل الناس ، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة ، لا من الفسق ؛ فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياء » .

ومن حين لآخر . . يقوم الشيخ بعمل مقارنات بين الظواهر الغربية ، وما يتساوى معها من الظواهر المصرية ، وغالبا ما تكون فى صالح الأولى ، فهو يقارن الممثلات الفرنسيات على المسرح الفرنسى بفتيات الرقص فى مصر ، والمسرح بمسرحيات خيال الظل المسلمة ، وعلى الرغم من أنه يذكر فى كلتا الحالتين أن الشكل الغربى أكثر تفوقا وتعليقاته على الرقص مليئة بالمعلومات .

« . . . . بخلاف الرقص فى مصر . . فإنه من خصوصيات النساء ، لأنه لتهييج الشهوات ، وأما فى باريس . . فإنه نمط مخصوص لايشم منه رائحة العهر أبدا » .

هذه الملاحظة تلفت النظر كثيراً ؛ لأن الشيخ رفاعة ؛ مثل من سبقوه من المستكشفين المسلمين لصالات الرقص الغربية ، ودهش من العمل العجيب بتبادل رفقاء الرقص .

وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها ، فإذا فرغ الرقص ، عزمها آخر للرقصة الثانية ، وهكذا وقد يقع أن من الرقص رقصة مخصوصة يرقص الإنسان ويده فى خاصرة من ترقص معه ، وأغلب الأوقات يمسكها بيده ، وبالجملة فمس المرأة أياماً كانت فى الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى ، وكلما حسن خطاب الرجل مع النساء ومدحهن عُدّ هذا من الأدب . (٢٢) .

وفى تعليق ختامى من أحد الفارسيين مبحرا من أزمير فى ١٨٣٨ ، عن زملائه الركاب .

« صعدت أربع فتيات انجليزيات إلى السطح ، وكانت كاملات جداً وذكيات ، لكنهم كن قبيحات ودميمات . وبسبب عجزهن الظاهر فى العثور على الراغبين فيهن فى بلدهن ، اضطررن إلى السفر الخارج ، وكن مسافرات هنا وهناك لبعض الوقت على أمل العثور على أزواج ، لكنهن فشلن فى تحقيق غرضهن ، وهن الآن عائدات إلى وطنهن .

وفى يوم الأحد حوالى الظهر . . رسونا عند جزيرة باير Pire (سيرا Sira) أول

أرض إغريقيـة نصل إليها ، وقد حـجزنا هناك لمدة عـشرين يوما فى الحجـر الصحى ، والذى يمكـن أن يؤدى وظيفـة عينة من جـهنم . وكانت الـــعذراوات الأربـع (هكذا ادعين) فى صحبتنا فى مبانى الحجر الصحى ، حيث دفع لهن اجودان باشا مصروفات إعاشتهن ، وكانت إحداهن سعيدة الحظ ، ووجدت أحد الإغريق الشبان الذى كان إحد رفقائنا فى الـسفر على ظهر الباخرة متـشوقا إليها ، وكانت تتبـادل مع الإشارات السرية والرموز ، وأصبحا الآن صديقين حميمين وعاشا معا فى مسكن واحد »[٢٣] .

كثيـر من الزائريـن الدبلوماسـيين عندهـم مايقولونـه عن المدن ، التـى زاروها فى مناسبات يقارنون بينها ، وبين مدنهم .

يذكر محمد سعيد افندى :

« باريس ليســت كبيرة مثل استامـبول ، ولكن المبانى مكـونة من ثلاث أو أربع أو عدد قد يصل إلى سبعة طوابق ، وتعيش أسـرة بأكملها فى كل طابق ، ويرى عديد من الناس فى الشوارع ؛ لأن النساء دائما فى الشوارع من منزل لآخر ، ولايمكثن اطلاقا فى المنزل . وبسبب هذا الخليط من الرجال والنـساء . . فإن داخل المدينة يبدو أكثر ازدحاما بالسكان مما هو فى الحقيقة ، وتجلس النساء فى المتاجر يمارسن العمل » .

الزائرون والمسلمون من شمال أفريقيـا والهند ، بالإضافة إلى من جاءوا من الشرق الأوسط يعلقون على الدور الذى تلعبه النساء كأصحاب متاجر فى المدن الغربية ، وعلى وجودهن العالمى .

وكل الرحالـة المسلمين بطريقـة شاملة ، حتى فى نـهاية القرن الثامن عـشر وبداية القرن التاسع عشـر ، لايظهرون أي اهتمام بالشئون الداخلـية لأوروبا ، حتى عزمى ، الذى زار إيران فى ١٧٩٠ لم يكـن لديه كثير من حب الاستطلاع عـن الشئون الخارجة عن مهـمته ، ويعـلق مضيـق على أحد الأفعـال غير العـادية لأوروبا : « لكـى نحاول ونعرض على الزوار من الدول الأخرى المناظر التى تستحق الرؤيا لمدنهم . . فإنهم بتلك الطريقة يشتتون أفكارهم ، ويؤخرونهم ، ويجعـلونهم يضيعون أموالهم فى مد اقامتهم

العديمة الجدوى . ومن الزائرين المسلمين الذين سافروا إلى الغرب حتى أوائل القرن التاسع عشر أحدهم فقط ، ميرزا أبو طالب خان ، تغلغل داخل هذه الأمور بالتفصيل [٢٥] . لقد أتى من دولة تعرضت للتأثير المباشر من الغرب بطريقة لها مغزاها . وخلال القرن التاسع عشر وجد الزائرون المسلمون من دول الشرق الأوسط أيضًا سببا لإطالة مكوثهم ، وزيادة مجال اهتماماتهم .